الفصل الرابع

بلاغتها وفصاحتها

العربُ أمةٌ صناعتُها الكلامُ،ومفخرتُها البيانُ،وهم أهل لَسَنٍ وفصاحةٍ يَزْدَهيهم القولُ وتأخذ بألبابهم البلاغةُ،وقد أُثر لهم من جوامع الكلم،ونوابغ الحِكَم، وروائع الأساليب، ما يُعَدُّ على وجه الزمان من مآثرهم الخالدة، ومناقبهم الباقية. وكان أهل الحجاز من بينهم خاصّة من أبلغ العرب لساناً،وأفصحهم بياناً،واجتمع لهم من الخطابة والفصاحة، والبيان العجيب، والقول المصيب، والكلام الغريب،والمنطق الساحر، والتعبير الباهر، والشعر الأخاذ، والنظم النفاذ ما روته أسفار الأدب، وازدانَتْ به لغةُ العرب.

يقول ابن خلدون في مقدمته: "واعلم أنَّ فَنَّ الشِّعرِ من بين الكلامِ كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوانَ علومِهم وأخبارِهم ، وشاهدَ صوابِهم وخطئِهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحِكَمِهم،وكانت مَلَكَتُهُ مُستَحكِمةٌ فيهم شأن المَلَكات كلّها، والملكاتُ اللسانيةُ كلُّها إنما تُكْتَسَبُ بالصناعة والارتياض في كلامهم..."(١)ولا شكّ أنّ الأسبابَ الشاعريةَ قد تهيأت من نشأةٍ بدوية في الصحراء التي تُفْسِحُ الخيالَ وتُلْهِبُ العاطفةَ وتُذْكي الشُّعورَ، وذلك بين قومٍ مَفْطورينَ على البلاغة، مَفتونين بالفصاحة واللَّسَنِ، فكلُّ ذلك يغذي المَلَكَةَ الفطريةَ،ويفتقُ أكمامَ الشاعرية ويجعلُ صاحبَها من أئمة الشِّعرِ، وشيوخِ البيان.

والفصاحةُ تطلق لغةً على معانٍ تنبئ عن الظهور والبيان ، يقال: أفصحَ الصبحُ إذا أضاء، وأفصح اللبنُ إذا انْجَلَتْ رَغْوَتُهُ ، وأفصحَ الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصحُ ويبينُ.

والبلاغةُ لغةً: من قولهم بلغت الغايةَ إذا انتهت إليها وبلَّغْتُها غيري، ومبلغ الشيء مُنتَهاه.

ومعناهما اصطلاحاً:مطابقةُ الكلامِ لمقتضى الحالِ،أو على حدٍّ تعبير الشيخ عبدالقاهر: تَوَخِّي معاني النحو فيما بين الكَلِمِ على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام وهو ما يسميه النَّظْم.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٥٧٠ ط بيروت – دار إحياء التراث العربي.

فالفصاحةُ والبلاغةُ والبيانُ والبراعةُ وما جرى مجراها ألفاظٌ مترادفةٌ على معنى واحد(١).

والمفهوم من كلام ثعلب أنَّ مدارَ الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها، فقد قال في أول فصيحة: هذا كتابُ اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناسِ وكتبهم، فمنه ما فيه لغةٌ واحدةٌ والناسُ على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك،ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فاخترنا أَفْصَحَهُنَّ، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى فأخبرنا بهما"(٢).

وقال الراغب في مفرداته: "الفَصْحُ:خُلوصُ الشيء مما يَشوبُهُ،وأصْلُه في اللَّبنِ،يقال:فَصَّحَ اللبنُ وأَفْصَحَ، فهو فَصيحٌ ومُفْصِحٌ إذا تَعَرَّى من الرغوةِ قال الشاعر:

وتحتَ الرَّغْوةِ اللبنُ الفَصيحُ(٣)

ومنها استعير فَصُحَ الرجلُ: جادت لغتُه،وأفصحَ تكلَّم بالعربية،وقيل بالعكس، والأول أصحُّ"(٤).

وقال الجار بردي في شرح الشافية:"فإن قلتَ : ما يُقصَدُ بالفصيح؟ وبأي شيء يسلم أنه غيرُ فصيحٍ وغيرُه فصيحٌ؟ قلتُ:أن يكون اللفظُ على ألسنَةِ الفصحاء الموثوق بعربيَّتهم أَدْوَرَ، واستعمالهم لها أكثرَ"(٥).

أما الباقلاني فيقول:" وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها: منهم مَن عبَّر عن معناها بأنه ما كان جَزلَ اللفظ حسنَ المعنى. وقد قيل: معناها الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس بعبارات جلية ومعانٍ نقيَّةً بَهيَّةٍ"(٦).

وأفصحُ الخَلْقِ على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ، وروي أصحاب الغريب أن رسول الله ﷺ قال: أنا أفصحُ العربِ، ورَوَوْهُ أيضاً بلفظ : أنا أفصحُ مَن نطقَ بالضاد بَيْدَ أَنِّي من قريش(٧).

---

(١) محاضرات في البيان العربي للدكتور يوسف البيومي ص٢٨ ط السعادة ١٩٦٥م.

(٢) فصيح ثعلب ص٢ (المطبعة النموذجية) ط١ سنة ١٩٤٩م.

(٣) نسبه في اللسان إلى نضلة السّلمي وصدره: ولم يخشوا مَصَالته عليهم.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني، (فصح)، ونقله السيوطي في المزهر ١ / ١٨٤.

(٥) المرجع السابق ١ / ١٨٧.

(٦) إعجاز القرآن للباقلاني ١ / ١٧٤ ط٣ الحلبي ١٩٥١م.

(٧) المزهر للسيوطي ١ / ٢٠٩.

وروى البَيْهقيُّ في "شعب الإيمان" عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما أفْصَحَكَ! فما رأينا الذي هو أَعْرَبُ منك. قال: حُقَّ لي، فإنما أُنْزِل القرآنُ عليّ بلسانٍ عربي مبين"(١).

وقال الخطَّابي: اعلمْ أنَّ الله لما وضعَ رسوله ﷺ موضعَ البلاغ من وَحْيه، ونَصَبه مَنْصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربَها ومن الأَلْسُن أفصحَها وأبينَها، ثم أمدَّه بجوامع الكلم. قال: "ومن فصاحته أنه تكلَّم بألفاظ اقْتَضَبَهَا لم تُسْمَعْ من العربِ قبله، ولم توجد في مُتقدَّم كلامها، كقوله: "مات حَتْفَ أنفه"، "وحَمِيَ الوطيس" و"لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْر مرتين" في ألفاظ عديدة تَجْري مَجْرى الأمثال، وقد يدخلُ في هذا إحْداثُه الأسماء الشرعية"(٢).

وأفصحُ العربِ قريشٌ ،وقد سادت لهجتُها على جميع اللهجات العربية بما كانت تضيفه إلى لغتها دائماً من ثروة لغوية، وبفضل ما أفادته من ذوق أدبي ولغوي في رحلاتها التجارية، وفي مواسم الحجِّ،وفي الاجتماعات العربية في الأسواق وغيرها، ثم نزلَ القرآنُ الكريم بلغةِ قريش، فتمَّ لها السيادةُ على جميع لهجات العرب.

وقد علَّل الفَرَّاء السِّرَّ في فصاحة قريش بقوله: "كانت العربُ تحضر الموسمَ في كلّ عام وتَحُجُّ البيتَ في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات جميع العرب،فما استحسنوه من لغاتهم تكلَّموا به، فصاروا أفصحَ العربِ، وخلت لغتُهم من مُسْتَبْشَعِ اللغات ومُسْتَقْبَحِ الألفاظ"(٣).

ومظاهرُ اختلاف اللهجات بين القبائل العربية كانت كثيرةً،ولكن ذلك كان في الفروع لا في أصل اللغة ذاتها، وكان أثراً للبيئة والمعيشة والحياة والجو(٤)، ومن مظاهر وصور اختلافِ اللهجات العربية ما يلي:

١- الكَشْكَشَة: في لهجة ربيعةَ ومُضَرَ وفي القاموس أنها لبني أَسَدٍ أو ربيعةَ، وهي زيادة شين بعد كاف المخاطبةِ المؤنثة في الوقف أو في الوقف والوصل جميعاً، أو

---

(١) المرجع السابق ١/٢٠٩.

(٢) المرجع نفسه ١/٢٠٩.

(٣) الاقتراح للسيوطي ص٨٣.

(٤) قصة الأدب في الحجاز د. محمد عبد المنعم خفاجي ص١١٧.

جَعْلِ الشين مكانَ هذه الكاف مع كسرها في الوصل وإسكانها وقفاً. فيقولون في رأَيْتُكَ: رأيْتُكَش أو رأيْتُش.

٢- الكَسْكَسَة: في لهجة ربيعةَ ومُضَرَ أيضاً، وهي أن يجعلوا بعدَ الكاف أو مكانَها في خطابِ المذكر سيناً، فيقولون في عَرَفْتُكَ، عَرَفْتُسَ أو عَرَفْتُكَسْ.

وقد نسبها الحريريُّ لبكرٍ لا لربيعةَ ومُضَرَ، وجعلَها مثل الكَشْكَشَة زيادة شين بعدَ خطاب المؤنثة،ونسبها القاموس لتميمٍ وفسَّرها بما فسَّرها به الحريريُّ، كما نسبها بعضُ العلماء إلى هَوازن.

٣- الشَّنْشَنَةَ:وهي إبدال الكاف شيناً مطلقاً،وقد سُمِعَ بعضُهم يقول:

"لبَّيْشَ اللَّهمَّ لبَّيْشَ"، أي لبَّيْكَ اللَّهمَّ لَبَّيْكَ، وهي منسوبةٌ لأهلِ اليمن.

٤- القُطْعَةُ في لغة طيئ[1]: وهي قطعُ اللفظ قبل تمامه فيقولون" يا أبا الحكا" في" يا أبا الحكم".

٥- فَحْفَحَةٌ هُذَيْل: وهي قلب الحاء عيناً مثل "عتى" في "حتى".

٦- عَجْعَجَةُ قُضاعة: وهي قلب الياء المشددة جيماً، إذا تطرفت إثرَ عينٍ كقول الراجز:

خالي عُوَيْفُ وأبـو عَلِـجّ المُطْعِمانِ اللحمَ بالعَشِجّ

يريد: علياً والعشيّ.

٧- غَمْغَمَةُ قُضاعة: وهي إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر.

٨- عَنْعَنَةُ تميم وقيس: وهي جعل الهمزة المبدوء بها عيناً مثل: "عنت كريم" في "أنت كريم".

٩- الاستنطاء في لغة سعد والأزد وهذيل وقيس والأنصار: وهي قلب العين الساكنة نوناً قبل الطاء نحو "أَنْطى" في "أَعْطى".

١٠- تَلْتَلَةُ بَهراء من تميم ونسبَها بعضُهم إلى أسَدٍ وغيرِهم: وهي كسر أحرفِ المضارعة، وقيل كسر تاء تِفعلون.

---

(١) قال في القاموس: إنها لثغة في طيِّئ كالعنعنة في تميم، وواضح أنها غير العنعنة كما سيأتي.

١١- الوَهْم في لغة كلب :وهي كسر هاء الغَيْبَةِ إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة مثل منهِم وعنِهم .

١٢- الوكْم: وهي منسوبة لبكرِ بن وائل، ونسبها السيوطي في المزهر إلى ربيعةَ وهي ما أُثِرَ عنهم من أنَّهم كانوا يكسرون كافَ الخطاب في الجَمْعِ مطلقاً مثل "عليكِم" بكسر الكاف، والمشهور ضم كاف "كُمْ" مطلقاً.

١٣- الوَتْم :وهي منسوبة لأهل اليمن،وهي إبدال السين تاء فيقولون في الناس: النات. ومنه قول الشاعر:

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النّاتِ

١٤- طُمْطُمانيَّةُ حِمْيَر: والطمطمة أن يكون الكلامُ مشبهاً لكلام العجم، والطمطمانية هي إبدال لام التعريف ميماً، ومن ذلك الحديثُ: "ليس من أمبر امصيام في امْسفَرَ" أي: ليس من البرِّ الصيامُ في السَّفَرِ.

١٥- لَخْلَخَانيَّةُ الشِّحْرِ وعُمان: وهي حذفُ بعض الحروف اللينة، فيقولون: "مشا الله كان" في "ما شاء الله كان".

إلى غير ذلك من مظاهر اختلاف اللهجات وهي كثيرة(١).

والسِّرُّ في فصاحة قريش وجمال لهجتهم يرجع إلى مكانتهم الدينية،وإلى أنَّهم كانوا إذا أَتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم،وأصفى كلامهم، فاجتمع ما اختاروه إلى سليقتهم وطبعهم، فصاروا بذلك أفصحَ العرب، وخَلَتْ لغتُهم من اللغات البشعة، والألفاظ المستقبحة... قال ابن فارس في فقه اللغة: -باب القول في أفصح العرب- "أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقَزْوين: قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الحشكي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عُبيدِ الله، قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواةُ لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالِّهم أن قريشاً أفصحُ العربِ أَلْسنَةً، وأصْفاهم لغةً، وذلك أنَّ الله تعالى اختارهم مِن جميع العرب، واختارَ منهم محمداً ﷺ، فجعل قريشاً قُطَّان حَرَمِه،ووُلاةَ

---

(١) انظر المزهر للسيوطي ١ / ٢٢١ وما بعدها واللهجات العربية للدكتور إبراهيم محمد نجا ص٧٦ وما بعدها، وقصة الأدب في الحجاز للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص١١٧ وما بعدها.

بيته، فكانت وفودُ العربِ من حُجَّاجها وغيرهم يَفدون إلى مكَّة للحجِّ، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش مع فصاحتها وحُسْنِ لغاتها،ورِقَّة ألسنتها،إذا أتتهم الوفودُ من العرب تخيَّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصحَ العرب. ألا ترى أنك لا تجدُ في كلامهم عَنْعَنَةَ تميم، ولا عَجْرفية قَيْس، ولا كَشْكَشَة أسد، ولا كَسْكَسَة ربيعة، ولا كسْر أسد وقيس[1].

فكانت قريش مهوى أفئدة العربِ في الجاهلية،وكان لها عليهم نفوذٌ واسعٌ بسبب مركزها الديني والاقتصادي،إذ إنها كانت حارسةَ الكعبة بيت عبادتهم، وكانت قوافلها التجارية تجوب أنحاءَ الجزيرة العربية،وكان العربُ يجتمعون إليها في أعيادها الدينية ومحافلها الاجتماعية.

أضف إلى ذلك ما تهيّأ لقريشٍ من نفوذٍ سياسي بفضل ما أُوتوا من نفوذٍ ديني واقتصادي، وما حُبُوا به من حضارة ومكانة، فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعاً، ويرشدنا إلى ذلك ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه في رَدِّه على الأنصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ: "لا تدينُ العربُ إلا لهذا الحيِّ من قريشٍ،فلا تَنْفسُوا على إخوانكم ما حَباهم اللهُ من فضله"[2].

ثم إنّ قريشاً امتازت بالفصاحة،ولم يقف القرشيون حَجَر عثرةٍ في سبيل تقدم لغتهم، بل عملوا على نموها، فأضافوا إليها ما هي في مسيس الحاجة إليه، وما رأوه أخفَّ على أسماعهم، وأيسرَ على ألسنتهم، فهذه العوامل هيَّأت للقرشية سبيل الفوز والغلب والسيادة ،ومكَّنَتْها من أن تصبحَ لغة العرب جميعاً[3].

فالباحثون يرون سهولَ لغةِ قريش وعذوبةَ لهجتهم،وأنهم كانوا ينتقون من لغات الوافدين عليهم - وهم كثيرون - تبعاً لما كانت تتمتع به قريشٌ من مكانة دينية واقتصادية،فكانوا ينتقون من لغات الوافدين عليهم ما عَذُبَ من الألفاظ والأساليب. كما أنَّ حياة التحضر التي كانت تحياها قريشٌ قد جعلَتْ لهم ذوقاً لطيفاً،وحسّاً مرهفاً

---

(١) المزهر للسيوطي ١/٢٠٩.

(٢) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم محمد نجا ص٦٧.

(٣) المرجع السابق ص٦٧.

وإدراكاً دقيقاً، وفهماً عميقاً بحيث إن لغتهم أصبحت بفضل ذلك المثلَ الأعلى لسائر العرب، لما فيها من عُذوبةٍ وجمال، ولما كان لهم من سيادة ونفوذ.

واللهجة القرشية كانت ذائعةً منتشرةً بين العرب منذ العصر الجاهلي. ولم يبدأْ ذيوعُها وانتشارُها بين العرب في الإسلام عن طريق القرآن الكريم. يقول الدكتور شوقي ضيف: إن هناك أسباباً دينيةً واقتصاديةً أعدَّتْ لهجةَ مكَّةَ لتسودَ اللهجات القبليةَ في الجاهلية،وقد تداخلت فيها أسبابٌ سياسية، فإن القبائلَ العربية كانت ترى تحت أعينها هجومَ الدولِ المجاورة من الفرس والروم والحبش على أطرافها،كما كانت ترى هجومَ الديانتين المسيحية واليهودية على دينها الوثني، فتجمعت قلوبُها حول مكَّةَ، وهَوَتْ أفئدتُها إليها. وبذلك كلّه تهيّأ للهجة القرشية أن يعلو سلطانُها في الجاهلية على اللهجات القبلية المختلفة، وأن تصبح هي اللغةُ الأدبية التي يصوغون فيها أدعيتهم الدينية وأفكارَهم وأحاسيسَهم، وقد يدل على ذلك بعض الدلالة سوقها عكاظ، فقد كانت سوقاً أدبيةً كما كانت سوقاً تجارية، وكان الخطباء يرتجلون فيها خُطَبَهم، وينشد الشُّعراء قصائدهم... فنحن إذن لا نعدو الواقعَ إذا قلنا: إن لهجة قريش هي الفصحى التي عمَّتْ وسادَتْ في الجاهلية، لا في الحجاز ونَجْد فحسب، بل في كلّ القبائل العربية شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً... أما في الشمال فقد كانت الفصحى معروفةً في كلِّ مكان، وكان الشُّعراء يتَّخذونها لغةً لشعرهم، ومما يدلّ على ذلك دلالةً قاطعةً سرعةُ استجابتهم للقرآن الكريم ودعوته،فإنهم كانوا يفهمونه بمجرد سماعه، فإذا عرفنا أنه نزل بلغةِ قريشٍ، تحتم أن تكون هي اللغة الأدبية التي كانت سائدة"(١).

ولكن الذي لا شك فيه أن ذيوعَ اللهجة القرشية وانتشارها قد بلغ الذّروةَ في الإسلام، وأصبحت لغةَ العربِ جميعاً بدون منازع، وأقبل العربُ من كلّ مكان شمالاً وجنوباً يرتشفون من هذه اللغة الصافية النَّقيَّة. وقد أخذت هذه اللغة تسود وتنتشر لا في أنحاء الجزيرة العربية وحدها، بل في كلّ بلدٍ عربي إسلامي شرقاً وغرباً، فإذا هذه اللغة تنتشر هنا وهناك،وإذا بها اللغة الفصحى والرسمية لبلاد العرب جميعاً.

---

(١) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص١٣٤. مع تصرف وتصحيح.

على أن القبائل العربية لم تكن على قَدْرٍ واحدٍ من الفصاحة والبلاغة وسلامة اللغة، وقد ظهرَ للعلماء والرواة أنَّ القبائلَ التي كانت في عزلة تامة عن غيرها قد فَصُحَت ألسنتُها وقويتْ لغتُها. وقد أدرك ذلك العربُ أنفسُهم حين كان الحضريون منهم يرسلون بأبنائهم إلى البادية ليرشفوا الفصاحةَ والبلاغَة من منبعها الصافي. ولقد دَرَجَ على ذلك خلفاءُ بني أمية ليهيئوا أبنائَهم لسياسة الملك التي قوامُها فصاحةُ اللغة، وهي موطنُ اعتزازهم وفخرهم. فلما تَخَلَّى عبدُ الملك بن مروان عن هذه الطريقة، ولم يرسلِ ابنَه الوليد إلى البادية لم يتقوم لسانُه،بل أصبحَ لَحَّانَةً مشهوراً حتى في قراءة كتاب الله، فقد روي أنه كان يخطب مرَّةً فتلا قولَه تعالى: ﴿**ياليتَها كانت القاضيةَ**﴾ فقرأها بضم تاء القاضية فقالَ عمرُ بن عبد العزيز، وكان حاضراً: "عليكَ وأراحنا منكَ" وفي رواية "علينا" ولذا قال عبد الملك قوله المأثور: «لقد أضَرَّ بالوليدِ حُبُّنا له»[1].

فكان مقياس الفصاحة في العصور الأولى،وهي عصور قوة اللغة تتجلى في العُزلةِ التامة، وعدم الاختلاط بغيرِ العربِ، ولذلك امتنع رواةُ اللغةِ عن الأخذِ من القبائلِ التي عُرفَ عنها الاختلاطُ.

فالقبائلُ التي لم يُعرفُ عنها الاختلاطُ، وقبعتْ في بيوتها بعيدةً عن تيار العُجْمَة، هي التي كُتبَ للسانها البقاءُ على سجيته وطبيعته،ولذلك كانوا يتفاوتون في الفصاحة والبلاغة نظراً لقوة العزلةِ أو ضعفها.

ومن المعروف أنَّ أفصحَ القبائل العربية والذين هم مورد اللغة :قَيْس وتميم وأسد وهُذَيْل وبعض كِنانة وبعض الطائيين[2].

ثم عَلَيْا هُوازن: وهم قبائل سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف، وسُفْلَى تميم وهم: بنو مازن وبنو العنبر، ومن رجالهم : أكثم بن صيفي حكيم العرب، وأوس بن حَجَر شاعرها، والأرْحَاء: وهم قوم من العرب حافظوا على بداوتهم باعتكافهم في أماكنهم فلم يغادروها لإحرازهم دوراً ومياهاً كفتهم مؤنة الانتقال من أوطانهم، وهم ست قبائل: تميم بن مرة وأسد بن خزيمة في مُضَرَ، وكلب

---

(١) اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص٥٨.

(٢) المزهر للسيوطي ١ / ٢١١.

ابن وَبْرَةَ، وطيئ بن أدد في اليمن،وقبيلتان من ربيعة وهما بكر بن وائل وعبد القيس ابن أقصى.

والجَمَرات: وهي عدة قبائل اتفقت على ألا يدخل أحدٌ منها إلى غيرها، ولا تُدْخِل من غيرها أحداً فيها، وبذلك ظلوا في عزلة تامة هيأت لهم سلامةَ ألسنتهم،وحفظَتْها من أن تمتد إليها يدُ اللحنِ والفساد، فبقيت قويةً أمداً طويلاً بعد الإسلام وهؤلاء هم: بنو تميم بن عامر بن صَعْصَعَة،وبنو الحارث بن كعب، وبنو ضَبَّة،وبنو عبس بن بغيض(١).

والمهم أنه قد شاع أنَّ أفصحَ العربِ ، هم الذين نُقِلَتْ عنهم اللغة من بين قبائلِ العرب وهم :قيس وتميم وأسد وهُذَيْل وبعض كِنانة.

ويبيِّنُ أبو نصر الفارابي(٢) السببَ في أنهم اقتصروا على تلك القبائل في جمع اللغة فيقول: "كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عما في النفس. والذين عنهم نُقِلَت اللغةُ العربية وبهم أقْتُدِي، وعنهم أُخِذ اللسانُ العربي من بين قبائلِ العرب هم: قيس وتميم وأسد فإنّ هؤلاء هم الذين أُخِذَ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه،وعليهم اتُّكِلَ في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هُذَيْل ،وبعضُ كِنانة وبعض الطائيين ولم يُؤْخَذْ عن غيرِهم من سائرِ قبائلهم(٣).

وأما القبائل التي عرف عنها الاختلاطُ وكانت لها صلةٌ بغيرِ العرب، فقد تنحَّى العلماءُ والرواةُ عن الوثوق بلغتهم. فلم يأخذوا من لَخْم وجذام لمجاورتهم أهل مِصْرَ، ولا من قُضاعة وغسَّان وأياد لمجاورتهم أهلَ الشامِ، ولا من بكر لمجاورتهم الفرسَ،ولا من عبد القيس وأزْدِ عُمان لأنَّهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنودَ والفرسَ، ولا من أهلِ اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة.

---

(١) انظر اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص٥٩.

(٢) هو الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح وأصله من «فاراب» انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢٥٩، وبغية الوغاة للسيوطي ١/٤٤٦.

(٣) المزهر للسيوطي ١/٢١١، والاقتراح في أصول النحو للسيوطي ص١٩.

يقول أبو نصر الفارابي : " وبالجملة فإنَّه لم يُؤْخَذْ عن حضريٍّ قَطُّ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطرافَ بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم،فإنه لم يُؤخذ لا من لَخْم، ولا من جذام لمُجاورتهم أهل مصر والقِبْط،ولا من قُضاعة وغَسَّان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام،وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلبَ واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزْد عُمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهلِ اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم،ولا من حاضرة الحجاز لأنَّ الذين نقلوا اللغةَ صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرَهم من الأمم، وفسدت ألسنتُهم،والذي نقلَ اللغةَ واللسانَ العربي عن هؤلاء وأثْبَتَها في كتاب فصيَّرها علْماً وصناعةً هم أهلُ البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب[1]. ويقول ابنُ خلدون في مقدمته : " كانت لغةُ قريش أفصحَ اللغات العربية، وأصرحها لبُعْدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنَفَهم من ثقيف وهُذَيْل وخُزاعة وبني كِنانة وغَطَفان وبني أسد وبني تميم. وأما مَن بَعُدَ عنهم من ربيعة ولَخْم وجذام وغسان وإياد وقُضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرسِ والروم والحبشة فلم تكن لغتُهم تامَة المَلَكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريشٍ كان الاحتجاجُ بلغاتهم وفي الصحة والفساد عند أهلِ الصناعة العربية[2].

ثم علينا أن نلاحظَ أنَّ الفوارقَ بين لهجة قريش ولهجات هذه القبائل ـ التي ذهب اللغويون إليها يجمعون منها مادتهم اللغوية ـ كانت ضئيلة جداً.

وعلينا ألا نبالغَ في تصوُّرها، فقد كانت متقاربةً مع لهجة قريشٍ إلى حدٍّ كبير، وإن تلك الفوارق بين اللهجات كانت تتسع كلما ابْتَعَدْنا عن مكَّةَ جنوباً أو شرقاً أو شمالاً "فاللغويون في القرن الثاني حين أقبلوا على القبائلِ النَّجْديَّة يجمعون منها مادَّتَهم إنما كانوا يتحرَّون الينابيعَ التي لا تزال نقيةً صافية، وليس في عملهم ما يشكِّكُ أي تشكيكٍ في لغة مكةَ في أثناء العصر الجاهلي وفترة نزول القرآن الكريم، فقد التمسوا بغيتَهم في القبائل المجاورةِ لقريشٍ مثل كِنانةَ وهُذَيْل وبعض عشائر قَيْس.

---

(١) المزهر للسيوطي ١ / ٢١٢ . والاقتراح للسيوطي ص٢٠ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٥٥٥ .

ومن المؤكد أنَّ الفوارقَ في الجاهلية بين لهجة مكَّةَ ولهجات هذه القبائل كانت ضئيلةً، وأن هذه الفوارقَ كانت تتسع كلما ابتعَدْنا جنوباً أو شرقاً أو شمالاً، على أنه ينبغي ألا نبالغَ في تصورها، فإن الشعراء تضافروا منذ أوائلِ العصر الجاهلي على إذاعة اللهجة المكيَّةِ في قبائلهم بما كانوا ينظمون فيها من أشعارهم"(١).

ومن الجدير بالذكر كذلك أنَّ مقياسَ الفصاحةِ في العصور الأولى، الذي كان يتجلى في العزلة التامة وعدم الاختلاط بغيرِ العرب ،قد تغيَّرَ نظراً لتغيُّرِ الظروف، لأنَّ العربَ بعد أن أنعمَ الله عليهم بالإسلام، ودخل الناسُ فيه أفواجاً من جميع الأمم، وأقبلوا عليه لأنهم أحبّوا تعاليمَه،ثم لأنه حرَّرَ الإنسانَ من العبوديةِ،وأبان للناس أنه لا فضلَ لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

ولقد أدى ذلك إلى اختلاط العرب بالأعاجم،لاسيما بعدَ الفتوحات الإسلامية، فقد تطرَّقَ الفسادُ واللحنُ إلى السلائق، مما اضطر العلماء إلى وضع الضوابطِ التي تميز الكلامَ الفصيحَ من غيره، ولذلك لم يعد المقياسُ السابقُ للفصاحة صالحاً للأخذ به، لأن العربَ قد اختلطوا وفَشَا اللحنُ في ألسنتهم، ولما خيفَ ـ من تمادي ذلك ـ على قراءة كتابِ الله، اضطر العلماءُ إلى وضع قواعد تُرْشِدُ المتكلِّمَ،وتهدي القارئ، وأخذوا في تمييز الفصيح ممن انحط عن درجة الفصاحة.

وقد اهتم العلماءُ في بيان هذه الضوابط، ودعموها بالشواهد التي تُفْصِح عن جيد الأساليبِ وتبرزُها في معرض الحُسْنِ والجمال، حتى يمكنَ تمييزُها من الأساليب الضعيفةِ أو الرديئة، ليكون الناسُ على علمٍ تامٍّ بالنوعين، ويتمكنوا من تمييز الأساليب والألفاظ والوقوف على حقائقها... وهكذا.

فقامَ علماءُ البلاغةِ بتحرير القواعدِ والضوابط ودَعَمُوها بالشواهد، وأصبح للفصاحة إطلاقٌ آخر هو سلامةُ الكلمةِ أو الكلام من عيوبٍ معيَّنة، وقالوا: الفصاحة إما في المفرد وإما في الكلام، فالفصاحة في المفرد: خلوصُهُ من تنافر الحروف والغرابة ومُخالَفة القياس. والفصاحةُ في الكلام: خُلُوصُه من ضعفِ التأليف، وتنافرِ الكلمات

---

(١) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص١٣٧.

والتعقيد بَمَعْنَيَيْه اللفظي والمعنوي، مع مراعاة أن تكون الكلمةُ فصيحةً. وتفصيل ذلك مبسوط في المراجع(١).

واشتهرَتْ قبيلةُ هُذَيْل بفصاحتها وبلاغتها، وكان لها نصيبٌ كبيرٌ في جولة الشِّعْرِ والأدب، فقد كَثُرَ شُعراؤها كَثْرَةً هائلة، وغزرت أشعارُها غزارةً تضعُها في المركز الأول بين القبائل العربية، وإنَّ ما وصل إلينا من أشعارهم يمثل أكبرَ ما عُرِفَ لأيّة قبيلة من العرب،يقول الزبيدي: "وهُذَيْل أعرقت في الشِّعْرِ"(٢) ويقول ابن حزم: " وفي هُذَيْل نيف وسبعون شاعراً مشاهير"(٣).

وقد سُئِل حسانُ بن ثابت رضي الله عنه: مَن أشعر الناس؟ فقال: أرجلاً أم حَيّاً؟ قيل له: بل حيّاً، قال: أشعر الناس حيّاً هُذَيْل. قال ابن سلاّم الجُمَحيُّ : وأشعرُ هُذَيْلٍ أبو ذُؤَيْب غير مُدافَع(٤). وقال الأصمعي: "قال أبو عمرو بن العلاء: أفصحُ الشعراء لساناً، وأعذبُهم أهلُ السَّرَوات وهن ثلاث، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن: فأولها هُذَيْل، وهي تلي السهلَ من تهامة، ثم بَجيلَةُ في السَّراة الوسطى، وقد شَرِكَتْهُمْ ثقيفٌ في ناحية منها،ثم سَراة الأزد أزد شَنُؤَة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد(٥).

وكان لهذه القبيلة في الجاهلية سوقٌ خاصَّة وهي سوق ذي المجاز، وكانت على بُعْدِ فَرْسَخٍ من عرفةَ(٦) فكانوا يتناشدون بها ما ينسال على ألسنتهم،من أشْعار هم ومن يأتيهم من قبائل العرب الأخرى.

وكثيراً ما تحدَّث العلماءُ والنُّقَّاد عن شاعرية هُذَيْل وكثرة أَشْعارها وشعرائها،قال الأصمعي: "إذا فاتَ الهذلي أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خيرَ فيه"(٧) وقال

---

(١) انظر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ص١١ وما بعدها، وشرحه: مختصر المعاني للتفتازاني، والمزهر للسيوطي ١ / ١٨٥ وكذلك محاضرات في البيان العربي د. يوسف البيومي ص٢٨ وما بعدها.

(٢) تاج العروس مادة (هذل).

(٣) جمهرة أنساب العرب ص١٩٨.

(٤) العمدة لابن رشيق ١ /٨٨، والأغاني ٦ / ٢٥٠.

(٥) العمدة لابن رشيق ١ / ٨٩، وبلوغ الأرب للألوسي ٣ /٨٨.

(٦) بلوغ الأرب للألوسي ١ /٢٦٦.

(٧) الأغاني ٢١ /٢٣٣.

يونس بن حبيب: ليس في هُذَيْلٍ إلا شاعرٌ أو رامٍ أو شديدُ العَدوِ"(١) وفي كتاب "فحولة الشعراء" قال أبو حاتم: حدثني الأصمعيُّ قال: قيلَ لحسان: من أشعر الناس؟ قال: أشعرهم رجلاً أم قبيلة؟ قال: بل قبيلة: قال: هُذَيْل، قال الأصمعي: فهم أربعون شاعراً مُفْلقاً، وكلّهم يَعْدُو على رِجْله ليس فيهم فارس(٢).

وقال أبو سعيد السُّكَّريُّ: قيل لحسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: أي الناس أشعر؟ فقال: رجل بأُذُنه أم قَبيلٌ بأسره؟ (قيل: قبيل بأسره") قال: هُذَيْل فيهم نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك، وبنو سنان مثلهم مرتين ليس فيهم شاعر واحد(٣). وذكر الألوسي أنه كان يقال: هُذَيْل أشعرُ القبائل وأبو ذُؤَيْب أشعرُها(٤).

فهذا يدلّ دلالةً واضحةً على كَثْرَةِ شِعْرِهم وشعرائهم كثرةً لفتَتْ أنظارَ العلماء والنقاد. والحقّ أنّ هذه القبيلة اشتهرت ببلاغتها وفصاحتها وكثرة شعرها ونثرها وقد نبغَ فيها من الشعراء مَن لم ينبغْ مثله كثرةً وجودَةً في أية قبيلةٍ من العرب. وإنَّ من يسرِّح نظَره في أشعارِهم يتضح له بصورة أكيدة ما كان يمتازُ به شِعرُهم من البلاغة والفصاحة، وسلامة الطبع والفطرة، فقد كان الشِّعْرُ ينسال على ألسنَتِهم بدون تكلُّفٍ.

وكتاب شرح أشعار الهذليين حافلٌ بشِعْرِهم وقصيدهم، الذي يَبْهَرُ النفوسَ ويَهزُّ المشاعرَ... هذا إلى جانب ما يَحْفِلُ به من الرَّجَزُ الذي عُرِفوا به كذلك. يروى أنَّ حسانَ بن ثابت خرجَ من أهله يرتجز بأحياء العرب، فمرَّ بهُذَيْل فرجزَ بهم فقال:

هَلْ ها هُنَا مِن وُلْدِ قِرْدٍ من أَحَدْ يَـرُدُّ عنهم رَجَـزَ اليومِ وَغَـدْ

فسمعَه أبو ذُؤَيْب وأبو خِراش وأبو جُنْدُب، وهم في خباءٍ لهم، وقد أَوْخَفوا خِطْمِيّاً فلما سمعوه ابتدروا باب الخباء فسبقَهم إليه أبو ذؤيب وقال:

نَعَمْ لَعَمْـرُاللهِ ثَبْتٌ ذُو عَـتَـدْ إنِّي لذو اليـومِ وذو أَمْسِ وَغَـدْ

بـنـي هُـذَيـلٍ وتَمـيـمٍ وأَسَـدْ والمَـرئِـيِّينَ بأَعْلَى ذي اللِّبَـدْ

---

(١) البيان والتبيين ١/ ١٧٤.

(٢) فحولة الشعراء للأصمعي ص٣٧.

(٣) ديوان الهذليين ٢/ ٣٨.

(٤) بلوغ الأرب للألوسي ٣/ ١٤٠.

لو وَرَدُوا البحرَ لأمسَى كالثَّمَدْ لو زِيدَ فيهمْ أَلْفُ أَلْفٍ لم يَزِدْ

ارْجِعْ إلى مَعْزِكَ تَيْساً ذا حِيَدْ (١)

ولعلّ من مفاخر هُذَيْل الأدبية حقّاً، ما روي من أنَّ ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعارِ العرب إلا ثلاثة أنصافٍ من الأبيات اثنان منها لهُذَيْل وحدَها، فقد كان الرواة ينظرون إلى جمع المعنى الكثيرِ في اللفظ الأقل، فمن وُفِّقَ إلى ذلك فهو أشْعَرُ، وكانت مثل هذه المفهومات متمثلةً بوضوح في النقد العربي. فيروي الجاحظُ أنَّ أبا عمرو بن العلاء قال: اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل: أي نصف بيت شِعْر أحكم وأوجز؟ فقال أحدهم: قول حُمَيْد بن ثور الهلاليّ:

وحسبُكَ داءً أن تصحَّ وتَسْلَمَا

وقال الثاني من الرواة الثلاثة: بل قول أبي خِراش الهُذَلي:

نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإن جَلَّ ما يَمْضِي

وقال الثالث من الرواة: بل قول أبي ذُؤَيْب الهُذَلي:

وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

فقال قائل: هذا من مفاخر هُذَيْل: أن يكون ثلاثةٌ من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف، اثنان منها لهذيل وحدَها. فقيل لهذا القائل: إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها، والنصف الذي لأبي ذؤيب لا يستغني بنفسه، ولا يفهم السامعُ معنى هذا النصف حتى يكون موصولاً بالنصفِ الأول، لأنَّكَ إذا أنشدتَ رجلاً لم يسمع بالنصف الأول وسَمِعَ:

وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

قال: مَن هذه التي تُرَدُّ إلى قليل فتقنع؟ وليس المُضَمَّن كالمطلق.

وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم، وإنما الرواية قوله:

والدَّهْرُ ليسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ(٢)

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ١/٢٣٣ - والمرئيين: من بني امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم.

(٢) البيان والتبيين ١/١٥٥.

وقد نَبَغ في هُذَيْل العديدُ من الشُّعراء المُفْلِقين الأفذاذ، الذين سجَّلوا بأشعارهم صفحاتٍ ناصعةً تدلّ على شاعريَّتهم الفذَّة، وما تمتاز به من البلاغة والفصاحة وسلامة اللغة، وقد سبق أن ابن حزم قال: " وفي هُذَيْل نيف وسبعون شاعراً مشاهير"(١).

وفي كتاب شرح أشعار الهذليين، وديوان الهذليين، ما يُنيف على مائة شاعر وأكثرهم من المشهورين ومن أصحاب القصائد الطويلة،وبعضهم من أصحاب المقطعات القصيرة، ومن مشاهيرهم :أبو ذؤيب، وساعدة بن جُؤَيَّة، وأبو خِراش والمُتَنَخَّل وأبو كَبير، وأبو صَخْر، وأبو العِيال، والأَعْلم، والمُعطَّل، وصخْر الغَيّ، وعمرو ذو الكلب وأخته جنوب، ومالك بن الحارث، ومُلَيْح بن الحكم القِرْدِي، وأمية بن أبي عائذ . . . إلى غيرهم من المشاهير من شعراء هذه القبيلة.

ويقال: إن بني مرة(٢) كانوا عشرة وهم: أبو خِراش،وأبو جُنْدُب ، والأَبَحّ، والأَسْوَد وأبو الأَسْود، وعمرو، وزهير،وجَنَّاد،وسفيان،وعُرْوة، وكانوا كلهم دهاة شعراء(٣).

ولعلَّ في ذلك ما يدلّ على شاعريتهم وكثرة شعرائهم،والمهم أنَّ شعراءهم قد بلغوا من الكثرة حدّاً لم يبلغه في أي قبيلة أخرى من العرب.

واشتهر في هُذَيْل عددٌ من الخطباء والقصاص المعروفين بالفصاحة والبلاغة وأشهرهم أبو المَليح الهُذَلي وهو أسامة بن عُمير،ومنهم أبو بكر الهُذَلي وهو عبد الله ابن سُلْميّ، ويقال إنه كان خطيباً قاصاً، وعالماً بيناً، وصاحب أخبار وآثار(٤)، وهو الذي لما فاخرَ أهلَ الكوفة قال: "لنا السَّاج والعاج، والدِّيباج والخراج، والنهرُ العَّجاجُ"(٥) وكان أبو بكر غزيرَ العلم ومعروفاً بفصاحته وبلاغته، يقول عنه أبو العباس السفاح: "ما رأيت رجلاً أغزر علماً من أبي بكرٍ الهُذَليِّ، لم يُعدْ عليَّ حديثاً قَطُّ"(٦) وهذا مما يدلُّ على ذكائه فعلاً في محادثة السلطان، وأن ذلك دليلٌ على

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص١٩٨.

(٢) بنو مرة: مرة أحد بني قِرْدِ بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذَيْل، وقِرْدٌ هو عمرو.

(٣) كتاب شرح أشعار الهذليين ١/٣٤٥.

(٤) البيان والتبيين ١/٣٥٧.

(٥) المرجع السابق ١/٣٥٧.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٦/١٤٩.

بلاغته وقوَّة تأثيره، وفي هذا يقول أبو بكر الهُذَليُّ: حدَّثْتُ المنصورَ بأكثرَ من عشرة آلاف حديثٍ، فقال لي ليلة، وقد حدَّثْتُه عن يوم ذي قار وقد اضطررت إلى التكرار: أتعيد الحديث؟ فقلت: ما هذا مما مَرَّ يا أمير المؤمنين، فقال: أما تذكر ليلةَ الرعد والأمطار وأنت تحدِّث بحديث يوم ذي قار، فقلت لك: ما يوم ذي قارٍ بأصعبَ من هذه الليلة"(١).

ومن كبار القصاص في هُذَيْل: مسلم بن جُندُب، الذي كان قاصَّ مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وكان إمامَهم وقارئهم، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز: "مَنْ سَرَّهُ أن يسمعَ القرآنَ غَضّاً فليسمعْ قراءةَ مسلم بن جُنْدُب"(٢).

على أنَّ الصحابيَّ الجليلَ عبد الله بن مسعود الهُذَلي رضي الله عنه كان من أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، مُحْكَمه ومتشابهه، حلاله وحرامه، قصصه وأمثاله، وكانت ملازمته للرسول ﷺ هي السببُ في زيادة ثقافته وعلمه، وروي عنه أن قال: "ما أُنْزلت سورة إلا وأنا أعلمُ فيما نَزَلَتْ، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأَتيته"(٣) ويعتبر ابنُ مسعود رضي الله عنه ثاني المكثرين من الصحابة في التفسير، فمكانته بعدَ ابنِ عباس رضي الله عنه، وأن المروي عنه أكثر من المروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً كما ذكر ذلك السيوطي في الإتقان(٤).

ويروى أنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه لَقِيَ ركباً في سَفَرٍ فيهم ابنُ مسعودٍ فأمر رجلاً يناديهم من أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفَجِّ العميقِ نريدُ البيتَ العتيق، فقال عمر: إن فيهم لعالماً، وأمر رجلاً أن يناديهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿**اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم**﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: نادهم: أي القرآن أحكم" فقال ابن مسعود: ﴿**إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القُرْبَى**﴾ [النحل: ٩٠] قال: نادهم أي القرآن أجمع؟ فقال: ﴿**فَمَنْ يعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ومَنْ يَعْمَلْ مثقالَ ذرة شراً يَرهُ**﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فقال: نادهم أي القرآن أحزن؟ فقال: ﴿**مَن يعملْ سُوءاً**

---

(١) المرجع السابق ٦/١٤٩.

(٢) البيان والتبيين ١/٣٦٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٤٢.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢/١٨٧.

يُجْزَ به ﴾[النساء ١٢٣] فقال: نادهم أي القرآن أرْجَى؟ فقال: ﴿ **قلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم..** ﴾ الآية [الزمر:٥٣]. فقال: أفيكم ابنُ مسعودٍ؟ قالوا: نعم. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره(١).

ولقد شاع الغريبُ في أشْعارِ هُذَيْل شيوعاً واسعاً، وظهرت في أشعارهم سمات البداوة واضحةً، لأنهم أهلُ البادية، ففي أشعارهم الكثيرُ من الألفاظ الغريبة، والكثيرُ من أسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه، وقد أشار إلى ذلك ابنُ قتيبة فقال: " وكلُّ علم محتاج إلى السماع، وأحوجه إلى ذلك علم الدِّين، ثم الشِّعْر، لما فيه من الألفاظ الغريبة، واللغات المختلفة،والكلام الوحشيِّ، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه، فإنَّك لا تفصل في شعر الهذليين إذا أنت لم تسمعه بين (شَابَة) و(سَايَة) وهما موضعان(٢)، ولا تثق بمعرفتك في حَزْمِ نُبَايعَ، "عُرْوَانِ الكَرَاث". و"شَسَّى عَبْقَر" و"أَسَد حَلْية" و"أَسَد تَرْج، ودُفَاق، وتُضَارُعَ" وأشباه هذا لأنه لا يلحق بالذكاء والفطنة، كما يُلْحَق مُشْتَقُّ الغريب.

وقُرِيء يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب:

بأَسْفَلِ ذاتِ الدَّبْرِ أُفْرِدَ جَحْشُها

فقال أعرابي حَضَرَ المجلسَ للقارئ:ضُلَّ ضَلالُكَ أيها القارئ ! إنماهي "ذات الدَّبْر" وهي ثَنِيَّة عندنا،فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد"(٣).

ولا شَكَّ أنَّ غرابةَ الألفاظِ عندَهم كانت نابعةً من طَبْعٍ أصيلٍ، ثم إن تلك الألفاظ على غرابتها كانوا يتداولونها في باديتهم، فجاء الغريبُ عن طَبْعٍ وعن أصالةٍ،ثم عن عَفْوِيَّةٍ... لأنها بدون تكلُّفٍ، ولذلك كانت جميلةً في كلِّ الأحيان.

يقول الدكتور سليمان ربيع:" ولسنا ممن يقول بغرابة اللغة الجاهلية، أو صعوبة عباراتها،فذلك يجب أن يُقاسَ بمستوى ومعارف الجاهليين أنفسهم،وما دام هذه الأدب كان مفهوماً لديهم، يتلقونه ويعارضونه ويتأثرون به، فهو أدبُهم السهلُ الطبعي المعروف(٤).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ١٦٠.

(٢) الأول بالباء الموحدة: موضع بمكة أو بنجد، والثاني بالياء المثناة التحتية: قرية بمكة أو وادٍ بين الحرمين.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٨٣.

(٤) محاضرات في الأدب الجاهلي د. سليمان حسن ربيع ص٦٥.

والواقع أن علماء اللغة ـ الذين كانوا يبحثون عن فصيح الكلام والألفاظ، والذين كانوا لا يثقون إلا بالعرب الفصحاء ـ وجدوا في أشعار هُذَيْل كنزاً ثرياً من كنوز اللغة العربية، يستمدون منه شواهدَهم على الغريب، الذي ذهبوا يجمعونَه من البوادي ليكملوا به دراستَهم اللغوية.

ويكفي أن ننظرَ في معجم كلسان العرب لنرى كيف تنتشر فيه الشواهدُ من أشعار هُذَيْل على كثيرٍ من المعاني التي كان اللغويون يفسِّرون بها غرائبَ اللغة وشواردها فقد انتشرت فيه الشواهدُ من أشعار هُذَيْل انتشاراً واسعاً، وبعيدَ المدَى، ففي هذه المعجم وحدَه يتردَّد اسمُ أبي ذؤيب دون غيره من شعراء هُذَيْل أكثر من ست آلاف مرة. يقول أستاذنا الدكتور عبد السلام سرحان عن أبي ذؤيب: "ويُعَدّ شِعرُه سجِّلاً ضخماً للكلمات اللغوية التي نطق بها العربُ الأقحاحُ في البيئة العربية الخالصة، ولهذا ليس بعجيب أن يتردَّد اسمُ أبي ذؤيب وأبياتُه في لسان العرب أكثر من ست آلاف مرة، ولم يَحْظَ أحدٌ بمثل هذه المكانةِ من الشُّعراء الذين اسْتُشْهِدَ بشِعرِهم في كتب العلم والأدب"(١).

ثم إننا في غير لسان العرب من معاجم اللغة المطولة كتاج العروس للزبيدي وغيره من المعاجم، ثم مصادر الأدب العربي التي تعنى بالغريب كالكامل للمبرّد، والأمالي للقالي وغيرها ـ نجدُ هنالك شواهدَ كثيرةً جداً من أشعار هُذَيْل على معاني الألفاظ اللغوية الغريبة التي يعرض أصحابُها لتفسيرها. ولا شكّ أنَّ كلَّ ذلك يدلُّ دلالةً واضحةً على فصاحةِ هُذَيْل وبلاغتِها، وعلى عنايةِ العلماءِ واهتمامهم بأشعارِها للاستشهاد على معاني الألفاظ وغرائب اللغة وشواردها.

ولهجةُ هُذَيْل من اللهجاتِ العربية الفصيحة التي يُقَدِّمها العلماءُ إلا أنه أُثِر عنهم الفَحْفَحَةُ(٢) وقد ذكرها السيوطي في باب الرديء المذموم من اللغات فقال: "ومن ذلك الفَحْفَحَة في لغةِ هُذَيْل يجعلون الحاء عيناً"(٣).

---

(١) قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ٢ / ١٢٠.

(٢) يقال: رجلٌ فَحْفاح: متكلم، وقيل: هو الكثير الكلام – انظر لهجات العرب للأستاذ أحمد تيمور باشا ص١٣٣.

(٣) المزهر للسيوطي ١ / ٢٢٢.

وهي عبارته أيضاً في الاقتراح[1]. والمشهور أنها إبدال الحاء من حتى عيناً وبها قرأ عبد الله بن مسعود (لَيَسْجُنُنَّهُ عَتَّى حِينٍ)[2] فلما بلغَ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إليه يقول: "إن القرآن لم ينزل بلغة هُذَيْل فأَقْرِئ الناسَ بلغة قريش"[3].

وذكر بعضُهم أن إبدال الحاء عيناً ليس قاصراً على حاء حتى، وقالوا: إنَّ الفَحْفَحَة إبدالُ الحاء مطلقاً عيناً، ومثلوا بقولهم: "اللَّعْمُ الأَعْمَرُ أَعْسَنُ من اللَّعْمِ الأَبْيَضِ". يريدون: "اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض"[4].

والحقُّ هو ما يراه الدكتور إبراهيم محمد نجا من أن هذا الرأي ضعيفٌ ،لأنه لم يردْ من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم، ومع ذلك رأينا ابنَ مسعود في قراءته قد اقتصرَ على إبدال الحاء من حتى ولم يبدلها من حين،فلو كان الإبدال عاماً لقرأ بالعين في كلتا الكلمتين، فدلَّنا ذلك على أن الفَحْفَحَةَ خاصة بحاء حتى[5].

والواقع أننا لم نجدْ في أشعارِ هُذَيْل إبدال الحاء عيناً، سواء كان ذلك بصفة عامة أو كان خاصاً بحاء حتى فقط، وهذا يدلّ على أنَّ الفَحْفَحَةَ لم تكن شائعةً عندهم أو أنها كانت نادرةً.

ثم الاستنطاء: وهو إبدال العين الساكنة نوناً إذا وقعت قبل الطاء،وقد ذكرها السيوطي كذلك في باب الرديء المذموم من اللغات ونسبها لسعد بن بكر وهُذَيْل والأزد وقيس والأنصار[6] وهو ما ذكره أيضاً في الاقتراح[7] وقد نسبها الزبيدي[8] لهذه القبائل أيضاً، وهذه القبائل من قبائل اليمن ما عدا هُذَيْل[9]، وقال الجوهري هي لغة اليمن[10].

---

(١) الاقتراح للسيوطي ص٨٣.
(٢) انظر الآية ٣٥ من سورة يوسف.
(٣) اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص٨٢.
(٤) المرجع السابق ص٨٢.
(٥) المرجع نفسه ص٨٢.
(٦) المزهر للسيوطي ٣/١٢٢.
(٧) الاقتراح للسيوطي ص٨٣.
(٨) مقدمة تاج العروس ط الكويت ص٢٢.
(٩) انظر لهجات العرب للأستاذ أحمد تيمور باشا ص١١٣.
(١٠) المرجع السابق ص١١٣.

وقد شرَّفها الرسولُ ﷺ فقال: " وأن مال الله مسؤول ومُنْطىً"(١) أي: مُعْطىً، وفي حديث الدعاء: " لا مانع لما أَنْطَيتُ"(٢) وفي حديث آخر "اليد المُنْطِية خير من اليد السفلى"(٣) وقد قرئ بها شاذاً: (إنا أَنْطَيْنَاكَ الكوثر)(٤).

على أننا لم نجد الاستنطاء - أيضاً - في أشعار هُذَيْل إطلاقاً، مما يرجح أن الاستنطاء كان شائعاً باليمن، ولعلَّ فيما ذكره العلماء ما يؤيدُ ذلك، فالجوهري قال: " هي لغة اليمن"، ثم ما ذكره السيوطيُّ والزبيديُّ من أنها لغةُ سَعْد بن بكر وهُذَيْل والأزد وقيس والأنصار، وهذه القبائلُ جميعها من قبائلِ اليمن ما عدا هُذَيْل.

إلى غير ذلك مما أُثِر عن لهجة هُذَيْل، وأكثرُه مما يعتري حروفَ الكلمة من إبدالٍ وتصحيحٍ وإعراب ونحو ذلك، كما أُثِر عن هُذَيْل أنها كانت تستخدم "متى" حرف جر بمعنى من، قال أبو ذؤيب:

شَرِبْنَ بماءِ البَحْرِ ثم تَرَفَّعَتْ متَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ(٥)

وأنها كانت تقلب ألف المقصور ياء عند إضافته لياء المتكلم في مثل: عصاي وفتايَ فيقولون: عَصَيَّ وفَتَيَّ، وهَوَيَّ، قال أبو ذؤيب:

سَبَقُوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ(٦)

ثم ما قيل من أنها كانت تنطق مثل قال وباع إذا بُنيا للمجهول قُوْلَ وبُوْعَ بقلب الألف واواً(٧) إلى غير ذلك مما قيل عن لهجة هُذَيْل - إلا أنها تُعَدُّ على أيّ حالٍ" صورة للهجة عربية فصيحة بَعُدَتْ عن طغيان الدخيل"(٨).

---

(١) المرجع نفسه ص١١٣.
(٢) المرجع نفسه ص١١٣.
(٣) المرجع نفسه ص١١٣.
(٤) اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ص٨٣.
(٥) ديوان الهذليين ١ /٥٢.
(٦) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ /٧.
(٧) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص١٢٧.
(٨) شعر الهذليين د. أحمد كمال زكي ص٣٢٨.

ولا شكَّ أنَّ دراسة اللهجات الجاهلية أمرٌ يُعَدُّ من الصعوبة بمكان" فعلى الرغم من مادتها الوفيرة[1] التي جمعها اللغويون تظلُّ غيرَ واضحة، ويظلّ المجالُ واسعاً فيها للظَّنِّ والتخْمين،وخاصَّة حين نُحاولُ أنْ نضعَ حدوداً للهجة قبيلة بعينها كلهجة تميم أو لهجة هُذَيْل. ونفس القدماء[2] اضطربوا في نسبة كثيرٍ مما نسبوه إلى القبائل، فتارةً يجعلونه لتميم أو لعشيرة تميمية،وتارةً يجعلونه لقيس أو لعشيرة قيسية، وأخرى يجعلونه لقُضاعَة أو عشيرة يمنية،وقد يُشْرِكون بين قبائلَ متباعدةٍ في الظاهرة اللغوية الواحدة[3].

وقد اختلف العلماءُ حول قوله ﷺ: "إن هذا القرآن أُنْزِل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تَيَسَّر منه" متفق عليه، رواه البخاري عن عمر[4]: ولعل فيما قالوه في ذلك ما يدلُّ على فصاحةِ هُذَيْل وبلاغتها،ثم ما يوضح مكانةَ لغتها في الدِّين واللغة والأدب.

وأما عن المقصود بهذه الأحرف السبعة، فقد اختلف العلماءُ في ذلك مع إجماعهم على أنه ليس المقصود أن يكون الحرفُ الواحدُ يُقرأُ على سبعة أوجه،إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو (أف، وجبريل،وأرْجِه،وهيهات وهيت)[5].

وأجمعوا على أنّهُ لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القُرّاء المشهورين، وإنْ كان بعضُ العوام يظنُّ ذلك، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خُلِقوا ولا وُجِدوا ، وأول مَن جمع قراءاتِهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة[6].

وقد تعرض لتفسيرِ الأحرف السبعة كثيرون في القديم والحديث، ولقد أوضحَ ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) المرادَ بالأحرف السبعة، وسببَ إباحة القراءة على سبعة أحرفٍ،وصور الخلاف بينها... يقول: "فكان من تَيْسيرِه أنْ أمرَه بأن يُقْرِئَ كلَّ قومٍ بلغتهم وما جرت عليه عادتُهم. فالهُذَلي يقرأ (عَتَّى حين) يريد ﴿حتَّى حين﴾ لأنه

---

(١) كذا وهو خطأ شائع، والصحيح وافرة أو موفورة.

(٢) كذا وهو خطأ أيضاً والصحيح: «والقدماء أنفسهم».

(٣) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص١٣٠.

(٤) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/١٩ ط التجارية.

(٥) المرجع السابق ١/٢٤.

(٦) المرجع نفسه ١/٢٤.

هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسديُّ يقرأ: (تعلمون وتِعلم) و (تَسْوَدّ وجوهٌ)[1] و(ألَمْ إعْهد إليكم)[2] والتميميُّ يَهْمِزُ، والقرشيُّ لا يهمز. والآخرُ يقرأ: ﴿**وإذا قيل لهم**﴾[3] و﴿**وغِيض الماء**﴾[4] بإشمام الضَّمِّ مع الكسر، و﴿**هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا**﴾[5] بإشمام الكسر مع الضم و ﴿**مالَكَ لا تأمنا**﴾[6] بإشمام الضم مع الإدْغام، وهذا مما لا يَطُوعُ به كلُّ لسان. ولو أنَّ كلّ فريقٍ من هؤلاء أُمِرَ أن يتنازلَ عن لغته، وما جرى عليه اعتيادُه طفلاً وناشئاً وكَهْلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المِحْنَةُ فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس طويلة، وتذليلٍ للسان، وقطعٍ للعادة، فأرادَ الله، برحمته ولطفه، إن يجعل لهم مُتَّسعاً في اللُّغات، ومتصرفاً في الحركات، كتَيْسِيره عليهم في الدِّين[7].

وذكر ابنُ الجزري (المتوفى سنة ٨٣٣هـ) أنَّ أكثر العلماء على أنها لغات ثم اختلفوا في تعيينها:

فقال أبو عبيد: قريش، وهُذَيْل، وثقيف، وهوازن، وكِنانة، وتميم، واليمن.

وقال غيرُه: خمس لغات في أكناف هوازن: سعد وثقيف وكِنانة، وهذيل، وقريش، ولغتان على جميع ألْسِنَةِ العرب.

وقال أبو عبيد أحمد بن محمد الهرويُّ: يعني على سبع لغات من لغاتِ العرب، أي: أنها متفرقة في القرآن، فبعضُه بلغةِ قريش، وبعضه بلغة هُذَيْل وبعضه بلغة هَوازِن، وبعضه بلغة اليمن[8].

وأما وجه كون القراءات على سبعة أحرف دون أن تكون أقل أو أكثر، فقال الأكثرون: إنَّ أصولَ قبائل العرب تنتهي إلى سبعة،أو إن اللغات الفصحى سبع،

---

(١) انظر الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٢) يعني بكسر أول الفعل المضارع، وانظر الآية ٦٠ من سورة يس.

(٣) الآية ١٣ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٤٤ من سورة هود.

(٥) الآية ٦٥ من سورة يوسف.

(٦) الآية ١١ سورة يوسف.

(٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٣٠ بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر (ط١) ١٩٥٤م.

(٨) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٢٤.

وكلاهما دعوى[1].وقيل :ليس المراد بالسبعة حقيقةَ العددِ بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السعة والتيسير، وأنه لا حرجَ عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك،والعربُ يطلقون لفظَ السبع والسبعين والسبعمائة ولا يريدون حقيقةَ العددِ بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرةَ والمبالغة من غير حصر[2].

وذكر القَسْطلاني (المتوفى سنة ٩٢٣هـ) آراء العلماء في ذلك وذكر في قوله تعالى: ﴿ **فاقرؤوا ما تيسر منه** ﴾[3] إشارة إلى الحكمة في التعدد المذكور في الحديث،وأنه للتيسير على القارئ، وهذا يقوّي قول من قال: المرادُ بالأحرف اللفظ المرادف،ولو كان من لغةٍ واحدة. وذكر أنه نُقِل عن أكثر أهلِ العلم أن هذا هو المراد بالأحرف السبعة[4].

قال ابنُ عبدِ البَّر: " أنكر أكثرُ أهل العلمِ أن يكون معنى الأحرف : اللغات ... قالوا: وإنما المعنى سبعة أوْجُه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة نحو : أقْبِل ، وَهَلُمَّ، وتَعَالَ"[5].

وقيل: نَزَلَ بلغة مُضَرَ خاصَّة، لقول عمر رضي الله عنه: "نَزَلَ القرآنُ بلغة مُضَرَ"[6]. وعيَّنَ بعضُهم فيما حكاه ابن عبد البر السبعَ من مُضرَ، أنهم هُذَيْل وكِنانة،وقيس، وضَبَّة ، وتيم الرباب، وأسد بن خزيمة، وقريش فهذه قبائل مُضَرَ تستوعب سبعَ لغاتٍ[7].

وقيل غير ذلك والكلام في هذه المسألة كثيرٌ وهو مبسوط في المراجع.

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢٥.

(٢) المرجع نفسه ١ / ٢٥.

(٣) الآية ٢٠ من سورة المزمل وكذلك وردت العبارة على لسان الرسول ﷺ نقلاً عن الآية.

(٤) لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني ١ / ٣٢. طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي سنة ١٩٧٢م.

(٥) المرجع السابق ١ / ٣٦.

(٦) المرجع نفسه ١ / ٣٤.

(٧) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

والمهمُّ عندنا أنَّ كلَّ أحدٍ لا ينكر وجودَ هُذَيْل من حيث هي قبيلةٌ نُقلَتْ عنها العربيةُ،وأنهم حين فسروا السبعةَ الأحرف بالسبع اللغات،اتفقوا جميعاً على أن هُذَيْلاً واحدة منها.

ولقد ذهبَ كثيرٌ من المُحْدَثين إلى أنَّ هذا الحديث لا يُرادُ به تخصيصٌ وإنما يُرادُ به الترخيصُ للقبائل العربية أن تقْرأه بلهجاتها المختلفة متى جاءت بها الروايةُ الصحيحة، فتعدد قراءاتُ القرآن الكريم لتخفيف المشقَّة عليهم في تلاوته. يقول الدكتور شوقي ضيف: " أما ما يُرَدِّدُه اللغويون من أنَّ القرآن الكريمَ نزلَ على سبع لغات منها خمس بلغة العَجُز من هَوازن،وهم الذين يقال لهم عُلْيا هوازن، مثل سعد بن بكر بن معاوية وثقيف، فذلك في رأيي إنما هو تفسير منهم للحديث النبوي: "أُنزل القرآنُ على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسَّر منه، " فقد فسَّروا الحرفَ باللغة أو اللهجة، ونظروا فوجدوا لهجات العرب ولغاتها كثيرةً، فاختاروا منها سبعاً هي أفصحها،وهي التي كان يرحل إلى مواطنها اللغويون لجمع مادتهم اللغوية الصحيحة، وقد اختلفوا في بعضها. وفي رأينا أنَّ الحديثَ لا يُرادُ به تخصيصٌ، وإنما يُرادُ به الترخيصُ لقبائل العرب أن تقرأه بلهجاتها المختلفة متى جاءت بها الروايةُ الصحيحةُ من مَدٍّ وإمالة وتحريكٍ للحروف وتسكين وتشديد تسهيلاً عليهم وتيسيراً حتى لا يجدوا مشقَّةً وثِقَلاً في نطق بعض ألْفاظه[1].

وذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ الأرجَح في معنى الأحرف السبعة هو ما يشملُ اختلافَ اللهجات،وتبايُنَ مستويات الأداء، الناشئة عن اختلاف السِّنِّ وتفاوت التعليم، وكذلك ما يشمل اختلافَ بعضِ الألفاظِ وترتيبِ الجملِ بما لاَ يتغير به المعنى المراد.

وذكر أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في البابِ لم تحدِّدْ تحديداً قاطعاً المرادَ بها وبتخصيص العدد بسبعة، ولذلك ليس لنا أن نحدس بهذا المراد، وخيرُ برهان على أن دلالةَ العدد هنا غيرُ مرادة لذاتها، أنَّ الصحابةَ وهم أكثرُ الناس معاناةً للمشكلة كانوا يتقبلوا الأمرَ على أنه من بابِ التوسعة والتيسير، كما حدَّثهم دائماً رسول الله ﷺ، وكانت دلالته تتسع يوماً بعد يوم، كلما جَدَّ جديدٌ في محيط الدعوة،أو وَفَدَ وافدٌ من الأصقاع

---

(١) العصر الجاهلي – د. شوقي ضيف ص١٣٥.

البعيدة، يحمل معه تقاليدَ لهجةٍ غريبة يُقْرَأ بها القرآنُ ويتسع لها دائماً مدلولُ الأحرفِ السبعةِ.

ويرى أن من مجُانَبَةِ التوفيقِ أن نحاولَ حصرَ الأحرف السبعة ـ المرادة في ذلك العهد ـ بسبع لغاتٍ مجتمعةٍ أو متفرقةٍ، معينةٍ أو شائعة،فكلُّ ذلك خَبْطٌ بغيرِ دليل، وتيهٌ لا هدى معه، كما أنه من مجانبة التوفيق أن تحدِّدَ مستوياتٍ سبعةٍ للاختلاف لتفسيرِ المراد بها، مهما ساعدَ المنطقُ على تسويغ هذه المستويات على الرغمِ من انحصارها في سبعة[1].

فنلاحظ أنَّ الكثرةَ من القدماء قد فسَّروا السبعةَ الأحرف في الحديث الشريف بسبع لغات منها هُذَيْل، وأن بعضَ القدماء والكثيرَ من المُحْدثين قد فسَّروا الحديثَ بأنَّ المرادَ منه السعةُ والتيسيرُ.

ولكن ألا يجوزُ أن يكونَ المرادُ من الحديث الشريف هو الجمع بين الرأيين، فما المانع أن يكونَ المرادُ هو السعة والتيسير والترخيص للقبائل العربية أن تقرأهُ بلهجاتها المختلفة، وكذلك أن يكونَ المرادُ حقيقةَ العدد وهو ما قيل في تفسيرِ السبعةِ الأحرف بسبعِ لغاتٍ كما ذهب إلى ذلك اللغويون وغيرُهم من القرَاء والعلماء.

ففي رأيي أنه لا تناقضَ بين السَّعةِ والتيسير وبين حقيقةِ العددِ حين ذكروا أنَّها سبع لغات منها لغة هُذَيْل، وهنا يبرز دورُ قبيلة هُذَيْل في البلاغة والفصاحة، ولعلَّ من مرجحات ما ذهبتُ إليه أنَّ الأصلَ إعمالُ الدليلِ على ظاهره ما لم يمنع من ذلك مانعٌ، ولا مانعَ من إرادة حقيقة العدد هنا. ثم إن إعمال الرأيين أقوى من إهمال أحدهما ـ وفقاً للقاعدة الأصولية ـ فنجمع بين إرادة التيسير وحقيقة العدد، إذ إنه لا تناقض بين إرادة حقيقة العدد وإرادة السعة والتيسير معاً.

ومن الحقائق التي تدلُّ على بلاغة قبيلتنا وفصاحتها، ما عُرِفَ عنها بين العربِ من الشُّهرة باللَّسَن والفصاحة، والمكانة الأدبية، حتى إن العربَ كانوا يرسلون أبناءهم إليها، لينهَلُوا من مَعينها الثَّجَّاج، ويتزَّودوا من الشِّعرِ والأدب وفصيح العربية. ويروى أَنَّ الشافعيَّ رضي اللهُ عنه أقام عند هُذَيْل مدةً طويلةً، فحفظ أَشْعارَها، وتذوَّقَ أساليبها.

---

(١) تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص٤٣ دار القلم ١٩٦٦م.

يقول بروكلمان: "وقَدِمَ الشافعيُّ إلى مكَّةَ وهو طفل،قيل إنه كان حينئذ في السنة الثانية من عمره، وتلقى بها تعليمَه، وبدأ فيها سماعَ الحديث والأخبار،فلما بلغت سِنُّهُ نحو سبع عشرة سنة رحل إلى البادية،وبقي بها بين أكناف بني هُذَيْل حتى بلغ نحو عشرين سنةً فأخذ عنهم فصيحَ العربية،ورَوَى الشِّعرَ والأدبَ"(١). والمعروفُ أنَّ الشافعيَّ كان عالماً لُغوياً،وأديباً وشاعراً(٢). وأنه كان بحُكْمِ عروبته وثقافته اللغوية والأدبية، وبحكم نشأته عند هُذَيْل وحفظه لأشْعَارِها، صاحبَ بيانٍ فخم، وتعبيرٍ جَزْلٍ، وأسلوبٍ رفيع، يصدر عن طَبْع وعن أصالة. ومعروف عنه كذلك أنه كان إماماً في الحفظ والرواية، وأنَّ رجالَ الأدب والشِّعْرِ كانوا يأتونه فيقرؤون عليه الشِّعْرَ فيفسِّرُه. وذكر الأصمعيُّ أنه قرأ شِعْرَ هُذَيْل عليه، فقد حدَّث عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال: قلتُ لعمي: على مَن قرأتَ شِعْرَ هُذَيْلٍ؟ قال: على رجلٍ من آلِ المطلب يقال له ابن إدريس(٣).

وعن مصعب الزبيريِّ قال: "كان أبي والشافعيُّ يتناشدان ،فأتى الشافعيُّ على شِعْرِ هُذَيْل حفظاً، وقال: لا تُعْلِم بهذا أحداً مِن أهل الحديثِ ،فإنَّهم لا يحتملون هذا"(٤).

وقد أُعجب الشافعيُّ رضي الله عنه ببلاغة هُذَيْل وفصاحتها، وذلك لنشأته في قبائلهم،ورضاه عن طِباعِهم،وقد قرَّر الشافعيُّ نفسُه أنَّ هُذَيْلاً كانت أفصحَ العرب حيث يقولُ في حديثه عن نفسه،" ثم إني خرجتُ عن مكةَ، فلزمتُ هُذَيْلاً في البادية، أتعلمُ كلامَها، وآخذُ طبعَها،وكانت أفصحَ العرب، قال: فبقيتُ فيهم سبع عشرة سنة،أرحلُ برحيلهم وأنزلُ بنزولهم، فلما رجعتُ إلى مكةَ جعلتُ أُنْشِدُ الأشعارَ، وأذكرُ الآدابَ والأخبارَ وأيامَ العرب"(٥).

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٢٩٢.

(٢) وللشافعي رضي الله عنه ديوان جمعه وشرحه الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل وطبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة – لجنة التعريف بالإسلام سنة ١٩٦٦م.

(٣) المزهر للسيوطي ١/١٦٠.

(٤) معجم الأدباء ١٧/٢٩٩.

(٥) المرجع السابق ١٧/ ٢٨٤.

فواضحٌ من كلامه عن نفسه أن هُذَيْلاً السببُ في آدابه وشاعريَّته فإن ذهابَه إلى البادية، وإقامَتَه عند هُذَيْلٍ، وكانت أفصحَ العرب، يرحلُ برحيلها، ويقيم بإقامتها،ويسمعُ كلامَها،ويحفظُ شعرَها، حتى صارَ كأنه أحدُ أفرادها قد سَهَّلَ عليه كثيراً في أن يستوعبَ معاني القرآن[1]، ويفهمَ مقاصدَه ومراميه،حتَّى صارَ في ذلك مرجعاً وحُجَّةً.

فالشافعيُّ صار كأنه فردٌ من هُذَيْلٍ يُحْتَجُّ بكلامه كما يُحْتَجُّ بكلامها،وقد عقدَ صاحبُ الاقتراح فصلاً في كلام العرب الذي يُحْتَجُّ منه بما ثبتَ عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم، ذكرَ فيه أنه مما يُعْتَمَدُ عليه في ذلك مصنفاتُ الإمامِ الشافعيِّ رضي الله عنه،وروى عن العلماء والأئمة أنَّ كلامَ الشافعي في اللغة حُجَّةٌ[2].

ولا شكَّ أنَّ إقامَتَهُ في هُذَيْل ،وحفْظَهُ لأشعارها،جعلَه قمةً في اللغة والأدب وقد كان يجيشُ صدرُه بقول الشِّعر بين الحين والحين، إنْ دَعتْهُ المناسبةُ وهزَّتْهُ لقول الشِّعْر، وهو مع ذلك كان لا يتخذُ الشِّعرَ غايةً أو هدفاً كما عُرِفَ عنه.

ونستطيع أن نستنتجَ من ذلك أنَّ الاختلاطَ في هُذَيْلٍ ـ لما امتازت به من الفصاحة والبلاغة ـ يخلقُ الشاعريةَ، ويفتقُ أكمامَها، وأن دراسةَ أشعارِ هُذَيْل تجعلُ الدارسَ لها قمةً في الفصاحة والبلاغة، ومعرفة الأساليب العربية وتَذَوُّقِها على أحسنِ وجهٍ.

وكان الشِّعْرُ الهُذَليُّ في كلِّ عصورِ اللغة موضعَ اهتمامِ كبار الرواة كالأصمعي وأماثلِ الأئمة كالشافعيِّ، والعلماء والمؤلفين كأبي سعيدٍ السُّكَّريِّ، وأبي الفرج الأصفهاني، وأبي علي القالي وغيرهم.

والشِّعْرُ الهُذَليُّ مرجعُ العلماء في الاستشهاد على صحة المفردات والألفاظ، واعتمد عليه المفسرون في تفسير ما اسْتُغْلِقَ من ألفاظ آياتِ القرآنِ الكريمِ وفَهْمِ معانيه.

وقد رُوي عن عُمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه قال على المِنْبَر:

ما تقولون فيها؟ يقصد في قوله تعالى: ﴿**أو يَأخُذَهُمْ على تَخَوّفٍ**﴾[3] فسكتوا. فقام شيخٌ من هُذَيْل، فقال: هذه لغتُنا، التَّخَوُّفُ : التَّنَقُّصُ. فقال: هل تعرفُ العربُ

---

(١) انظر الإمام الشافعي للأستاذ عبد الغني الدقر، ص ١٧٦، ط دار القلم، بيروت ١٩٧٢م.

(٢) الاقتراح للسيوطي ص٢٠.

(٣) الآية ٤٧ من سورة النحل.

ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرُنا أبو كبيرٍ يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ(١)

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شِعْرُ الجاهلية فإن فيه تفسيرَ كتابِكم ومعاني كلامِكم(٢).

كما اعتمد النحاةُ على الشعر الهُذَلِيِّ في الاستشهاد على الأساليب الصحيحة والعبارات الفصيحة. وبقي الشِّعرُ الهُذَلِيُّ كنزاً زاخراً لشواهد اللغة، فقد كانت هُذَيْل بعيدةً عن المؤثرات الخارجية، وسلمت لغتُها من الدخيلِ وعُرِفَتْ عند القومِ بالفصاحةِ والبلاغة. ولذلك عُني بها الحفاظُ والعلماءُ والدارسون في كلِّ العصور.

وقد ظَلَّ هذا الشِّعرُ الهُذَلِيُّ منذ تدوين هذه اللغة وهو حقيبةُ نصوصِها وَجْعَبُة شواهدِها وكِنانة ألفاظِها، وملتقى حُفَّاظِها، إليه مرجعُ علمائِها في الاستشهاد على صحة المفردات، وعليه اعتمادُ أئمتها في تفسير ما التبسَ من مُحْكَمِ الآيات، فقد كانوا لشدَّةِ عنايتهم بهذه اللغة الكريمة، وحرصهم على بقاء بِنْيَتِها صحيحةً، لا يستشهدون على سلامة تعابيرهم، بما تنطق به عامةُ قبائلِ العرب، وإنما كانوا يخصون ولا يعمون"(٣).

وقد تقدَّم أنَّ العلماء كانوا لا يأخذون من لَخْم، ولا عن جذام، ولا عن قُضاعة وغسان وإياد، ولا عن تغلب واليمن، ولا عن بكر، ولا عن عبد القيس وأزد عُمان ولا عن بني حنيفة، ولا عن ثقيف وأهلِ الطائف ولا عن حاضرة الحجاز كما قال أبو نصر الفارابي(٤).

فالعلماء إنما كانوا يأخذون العربيةَ عن قيس وأسد وتميم وهُذَيْل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يأخذوها عن غيرهم من سائرِ قبائلهم. يقول أبو نصر الفارابي: "كانت قريشُ أجودَ العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نُقِلَتِ اللغةُ

---

(١) التامك: السنام: القرد: الكثير القردان أو السمين، السفن: حجر ينحت به.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي د. ناصر الدين الأسد ص١٥٢.

(٣) مقدمة القسم الثالث من ديوان الهذليين للأستاذ محمود أبي الوفا.

(٤) انظر المزهر للسيوطي ١/٢١٢.

العربية وبهم اقْتُدي، وعنهم أُخذَ اللسانُ العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذينَ أُخِذَ عنهم اكثرُ ما أُخِذَ ومعظمه،وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هُذَيْل، وبعض كِنانةَ وبعض الطائيين، ولم يُؤْخَذْ عن غيرهم من سائر قبائلهم"(١). فهُذَيْل كانت عند العلماء وأئمة اللغة إحدى جهات ستّ لا يُقْتَدَى إلا بها، ولا تُؤْخَذُ اللغةُ إلا عنها، فإذا عرفنا إلى هذا أن قيساً وتميماً وأسداً إنما كان يُعْتَمَدُ عليهم في الغريب وفي الإعراب وفي التصريف ـ كما نفهمُ هذا من نَصِّ الفارابي ـ استطعنا أنْ نُلاحظَ أنَّ هُذَيْلاً كانت أولى القبائلِ التي يُقْتَدى بها في فصاحة اللسان وسعة البيان وروعة الأساليب.

ولئن سبقتْ قريشٌ بأنَّها كانت أجودَ العربِ انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وانتقاءً لأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عما في النفس، فقد كانت هُذَيْل لاحقةً بها في هذا السبيل أو تكاد،ولا عجبَ في ذلك فهي تَمُتُّ إلى قريش بصلة النسب والمصاهرة والجوار، فإذا كانت قريشٌ تقطن مكَّةَ، وهُذَيْل تقطنُ حولَها أو قرباً منها، فلا عجبَ أن يكون القرشيون والهذليون في الفصاحة والبلاغة قسماء كما كانوا في الجوار والدماء أقرباء.

فامتازت هُذَيْل بفصاحتها وبلاغتها، ولاشكَّ أنها كانت معروفةً عند القوم بفصاحة اللسان، وسعة البيان،وروعة الأسلوب، وجمال الأداء ولعلَّه من أجلِ ذلك قال عثمان بن عفان وهو يكتب المصاحف :اجعلوا المُمْلِي من هُذَيْل والكاتبَ من ثقيف(٢).

وقد سبق من النصوص التي مرَّت بنا في هذا الفصل،وتحدثَتْ عن تلك القبائل التي أُخذت عنها اللغة العربية، ونَزَلَ بلغتها القرآنُ الكريمُ أنه أصبحَ واضحاً أن هُذَيْلاً كانت واحدةً ممن ذكرهم العلماء،وذلك أنها أُثِرَ عنها فصاحةٌ في اللسان وصحةٌ في النطق ودقةٌ في البيان(٣).

وأشعارُهُذَيْل تُعَدّ قمةً في الفصاحة والبلاغة،وقد أجمعَ العلماءُ والنقادُ في القديم والحديثِ على شاعريَّتِهم الفذَّة، وعلى مكانتهم في دولة الشِّعْرِ والأدب.

---

(٢) المرجع السابق ١ / ٢١١.

(٣) شعر الهذليين د. أحمد كمال زكي ص٢٩٨.

(١) قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ٢ / ١١٩.

يقول أستاذُنا الدكتور عبد السلام سرحان: " إن قبيلةَ هَذَيْل كانت جُذَيْل الشعر المُحَكَّك، وعُذَيْقَه المُرَجَّب. إذ كانت في الذروة العليا من اللغة، وفوق القمة الرفيعة لدولة الشِّعر والأدب. وقد حكوا أنَّ الشافعيَّ ـ رحمه الله ـ كان يحفظ شعرَ هُذَيْلٍ كُلَّه ويفخرُ بذلك، ويبلغ المروي منه (٥٠٠٠) خمسة آلاف بيت.

وقد عُني علماء اللغة والأدب بجمع أشعار هُذَيْل، وشَرْحها وتنسيقها وعلى رأسهم الأصمعي وأبو عبيدة، وأبو عَمْرو الشيباني، وابن الأعرابي وأبو سعيد السُّكَّريُّ وغيرهم.

وكتب اللغة كلها تَسْتَقِي من نبعِ الشعرِ الهُذَليِّ، وتكرع من حياضه في شتى المواد..."(١)

ولقد احتلَّ الشِّعْرُ الهُذَليُّ مكانته المرموقَة عند الخلفاء والأدباء. ولعلَّ من أمثلة ذلك ما رُوي عن القصيدة العينية لأبي ذؤيب التي قالها في رثاء أولاده الخمسة الذين أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها(٢). وفي رواية أن أبناءَهُ كانوا سبعة وقد شربوا من لبن شربت منه حَيَّةٌ ثم ماتت فيه فهلكوا في يومٍ واحد(٣).

وهي قصيدة يَعتبرها أكثرُ أهل الأدب أروعَ وألمعَ، وأبدعَ وأسْطَعَ وأنصحَ شعر قيل في الرثاء، وهي في تَسْكابها المنهل،وتهطالها المنفعل، تُعَدُّ نسيج وحدها،وابنه وجدها، وفريدة عصرها، ووحيدة دهرها إلى حدٍّ جدّ بعيد(٤).

وهي قصيدة طويلة أولها:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ ليس بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وقد قال الأصمعي وأبو عمرو بن العلاءوغيرهما: أبرُع بيتٍ قالته العربُ قولُ أبي ذؤيب:

والنفسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبْتَهَا وإذا تُـرَدُّ إلى قَليلٍ تَقْنَعُ

---

(١) قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ٢ / ١١٩.

(٢) الأغاني ٦ / ٢٥١.

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١.

(٤) قطوف من ثمار الأدب د. عبد السلام سرحان ٢ / ١٢١.

كذلك قالوا: إن أحسنَ ما قيل في الصبرِ قوله:

وَتَجَلُّدي للشَّامتينَ أُرِيهِمُ أنِّي لَرِيْبِ الدهرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]

وروى أبو الفرج الأصفهانيُّ من صُوَرِ الاهتمام بعينية أبي ذؤيب،أنه لما مات جعفرُ الابنُ الأكبرُ للخليفة المنصور، مشى المنصورُ في جنازته، ومشى معه الناسُ حتى تَمَّ دفنُه ثم انصرفَ إلى قصره، وأقبلَ على الربيع فقال: انظر من في أهلي ينشدني:

أَمِنَ المنونِ وَرَيبِها تَتَوَجَّعُ

حتى أتسلى بها عن مصيبتي، ولكن الربيع لم يجدْ فيهم مَن يحفظُها،فرجعَ فأخبره، فثار المنصور قائلاً: "والله لمصيبتي بأهلِ بيتي ألا يكون فيهم أحدٌ يحفظُ هذا لقلة رغبتهم في الأدب، أعظم وأشد عليَّ من مصيبتي بابني".

ثم أمرَه أن ينظرَ في القوّاد والعوام من الجُنْدِ مَن يعرفها، لأنه يُحبُّ أنْ يَسْمَعَها من إنسان ينشدها، فخرج الربيعُ معترضاً الناسَ فلم يجدْ أحداً ينشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدباً قد انصرفَ عن موضعِ تأديبه، فأوصله إلى المنصور،فاستنشده إياها فلما قال:

والدهرُ ليسَ بُمْعتبٍ مَن يَجْزَعُ

قال: "صدق والله، فأَنْشِدْني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا المصراع عليَّ فأنشده،ثم مَرَّ فيها،فلما انتهى إلى قوله:

والدَّهْرُ لا يَبْقَى على حَدَثانِهِ جَوْنُ السَّراةِ لَه جَدائدُ أَرْبَعُ

قال: "سلا أبو ذؤيب عن هذا القول" ثم أمر الشيخَ بالانصراف بعد أن أكرمَه[2].

وكان من عناية الخلفاء بشعر هُذَيْل وحبِّهم له ما رُوي من أنَّ الهادي طربَ طرباً شديداً لرائية أبي صخرٍ الهُذَليِّ في الغزل، وهي قصيدة مشهورة وتعدُّ من مختار[3] شعرِ هُذَيْل.

---

(١) انظر المرجع السابق ٢/١٢١.

(٢) انظر الأغاني ٦/٢٥٧.

(٣) المرجع السابق ٢٣/٢٧٨.

وروى صاحب الأغاني عن حمّاد بن إسحاق قال: "حدثني أبي عن جدِّي قال: دخلتُ يوماً على موسى الهادي وهو مصطبحٌ، فقال لي: يا إبراهيم غَنِّني، فإن أطربتني فلك حُكْمُكَ، فغنيتُه:

وإنِّي لتَعْرُوني لذِكْراكِ فَتْرَةٌ كما انتَفَضَ العصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

فضرب بيده إلى جنب دراعته فشقَّها حتى انتهى بها إلى صدره، ثم غنيته:

أما والذي أَبْكَى وأَضْحَكَ والذي أماتَ وأحْيَا والذي أمْرُهُ الأَمْرُ

لقد تَرَكَتْني أَحْسُدُ الوحْشَ أنْ أَرَى أَلْفَيْنِ منها لا يَرُوعُهُما الزَّجْرُ

فَشَقَّ دراعتَه حتى انتهى إلى آخرِها، ثم غنيتُه:

فيا حُبَّها زِدْني جَوىً كلَّ ليلةٍ ويا سَلْوَةَ الأيامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

فَشَقَّ جُبَّةً كانت تحت الدارعة حتى هتكها، ثم غنيته:

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدهرِ بيني وبينَها فلما انْقَضَى ما بيننا سكَنَ الدَّهْرُ (١)

فشقَّ قميصاً كان تحت ثيابه حتى بدا جسمه، ثم قال: أحسنتَ والله فاحتكِمْ فقلتُ: تهب لي يا أمير المؤمنين، عينَ مروان بالمدينة، فغضبَ حتى دارتْ عيناه في رأسه، ثم قال: لا، ولا كرامة، أردت أن تجعلني أحدوثةً للناس وتقول: أطربتُه فحكَّمني فحُكِّمْتُ فأمضى حكمي، ثم قال لإبراهيم الحرَّاني: خذ بيد هذا الجاهل وأدخِلْه بيتَ مالي الخاصّ، فإن أخذَ كلَّ شيء فيه فلا تمنعه منه، فدخلتُ معه، فأخذت مالاً جليلاً وخرجْتُ" (٢).

إلى غير ذلك مما يروى عن عناية الخلفاء والعلماء والأدباء والنُّقّاد بالشِّعْرِ الهُذَليِّ، لما امتاز به من الفصاحة والبلاغة، وقوَّةِ التَّأثير وجمالِ التعبير.

---

(١) الأبيات لأبي صخر الهذلي، وإن كانت نسبت كذباً لمجنون ليلى - راجع الشعر والشعراء (٢/٥٤٥، ٥٤٦) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٠م.

(٢) الأغاني ٢٣/٢٨٢.

الفهرس

الصفحة

المقدمة ٧– ١٧

الباب الأول

الجاهلية والشعر الجاهلي

الفصل الأول: الجاهلية في أرض العروبة ٢١–٣٧

طبقات العرب ٢٦

معنى الجاهلية ٣٢

الفصل الثاني: صورة المجتمع الجاهلي ٣٨–٦٣

معارف العرب ٤٨

حياتهم الدينية ٥٢

الفصل الثالث: الوضع السياسي لأهل الجزيرة ٦٤–٨١

مملكة معين ٦٤

مملكة سبأ ٦٥

مملكة حمير ٦٥

مملكة المناذرة ٦٧

مملكة الغساسنة ٦٨

مكة المكرمة ٧٢

النظام القبلي ٧٦

الفصل الرابع: الشعر والشعراء في ظلال الجاهلية ٨٢–١١٣

نشأة الشعر الجاهلي ٩٠

الشعر الجاهلي شعر غنائي ٩٤
التكسب بالشعر ٩٩
القصيدة العربية ١٠٢
موقف الإسلام من الشعر ١٠٩
الفصل الخامس: الشعر الجاهلي ومدى وثاقته ١١٤-١٣٢

الباب الثاني

هذيل ومكانها فوق البساط العربي

الفصل الأول: موطن هذيل وحدوده ١٣٥-١٥١
الفصل الثاني: نسبها أصولاً وفروعاً ١٥٢-١٨٠
أصول هذيل ١٥٧
فروع هذيل وبطونها ١٦٥
الفصل الثالث: مكانتها الاجتماعية والأدبية ١٨١-٢٣٣
حروب هذيل وأيامها ٢٠٦
حياتها الدينية ٢٢٩
الفصل الرابع: مع توهج الجاهلية وتموج الإسلام ٢٣٤-٢٢٦
يوم الرجيع ٣٣٧
غزوة بني لِحيان ٢٤٢
يوم فتح مكة ٢٤٣

الباب الثالث

الصورة المميزة لحياة هذيل

الفصل الأول: بين أفناء البادية ٢٦٧-٢٩٩
الفصل الثاني: مصادر الثروات فيها ٣٠٠-٣٢٩

الفصل الثالث: على نجاد الاستقرار وفي وهاد الانتشار..... ٣٣٠-٣٧٥
العدو والفرار..... ٣٤٧
أحاديث السلاح..... ٣٥٩
أحاديث المراقب..... ٣٦٣
الفصل الرابع: بلاغتها وفصاحتها..... ٣٧٦-٤٠٧